من نوادر المخطوطات :

شرح المشكل من شعر أبي تمام

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

في أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٦ كنت في حلب أنتظر قطار طوروس ، في طريق إلى الموصل ، للقيام بتدريس اللغة العربية وآدابها في كلية الموصل ، فكلفني أحد الأصدقاء أن أبحث له عن بعض المخطوطات الواردة في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي ، فأصف له بعضها وصفاً علمياً واضحاً ، وأبحث عن مؤلفي بعضها مما لا وجود له في كتاب الدكتور الجلبي .

وكان من تلك المخطوطات التي كتبها صديقي في ورقة صغيرة « شرح مشكلات أبي تمام » ، وكان المطلوب وصفه والتعريف بمؤلفه . ولما بلغت الموصل ، واستقر بي المقام بها ، ذهبت أبحث عن « شرح مشكلات أبي تمام » ، فكان مما وقفت عليه :

« كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي مخطوط في ١٣٢ صفحة ، في كل صفحة ١٩ سطراً مكتوب بخط نسخي جميل بقلم محمد صالح الشريف ، ضبط الكثير من كلماته الغريبة بالشكل الكامل . كتبت الأبيات المشكلة من شعر أبي تمام بالمداد الأحمر ، والشرح بالمداد الأسود ، للتفريق بين المتن والشرح ، فرغ من كتابة هذه النسخة في ٢٤ من المحرم سنة ١١٥٦ هـ

وهذا الكتاب مما أهداه السيد أحمد بك الجليلي إلى النادي العلمي بالموصل في ٢٧ من شهر صفر سنة ١٣٣٧ هـ ، ولما انحل النادي العلمي ضمت كتبه إلى المدرسة الإسلامية — الفيصلية العلمية الآن — وفي بعض الهوامش تقييدات واستدراكات وتصحيحات لما ورد في الشرح بقلم صادق .

هذا كل ما أمكن الوقوف عليه في وصف كتاب « شرح مشكلات ديوان أبي تمام » ، وأما موضوعه فإني أفضل أن أنقل إلى القارىء نص مقدمة المؤلف ليرى بنفسه أي كتاب هو هذا الذي نكتب عنه وهذه هي المقدمة « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم .

جاريتني — أيدك الله — أمر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وما فيه من غوامض الأبيات ، وبديع المعاني والألفاظ إلى غير ذلك مما يستبديه فنه فلا يساهم ؛ ويختص به نهجه فلا يقاسم ، ثم سألت أن أتتبع مشاهير كلماته ، فألتقط من فقرها ما يفتقر إلى تبيين ، ومن بيوتها ما يحوج إلى تفسير ، ثم أتبع كلا منه بما يحتمل من تلخيص بأوجز ما أمكن من لفظ ، وأقرب ما أعرض من بسط . لنجعل ذلك دليلا يهدي إلى الاغمض من باقيه ، ومعيناً يعدي إلى ألطف ما فيه .

وقد نظرت في عظم ديوانه ، وجمعت منه جل ما يلقى في المجالس من أبياته ، ثم تحريت في شرحها مسارك ، وتوخيت فيها سهل منه أو توعر تحصيل مرادك . غير محتفل بما يلحق من كد ، ولا مفكر فيها يعرض من تعب . حتى حصل على حد يملك الناظر فيه — مع أدنى تأمل له — عنان هذا الشعر وزمامه ، ويخير المذاكر — بعد أيسر تمرن به — غرض هذا الشاعر ومرامه . فمتى جاري فيه سبق ، وإذا ناضل به قرطس .

والله أسأل التوفيق ، وإياه أعبد واستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

* * *

هذا هو وصف كتاب شرح مشكلات شعر ابي تمام من حيث شكله ، وهذه هي مقدمته التي تبين عن موضوعه وتشرحه ، ولكن بقي شيء آخر لم نعرفه إلى الآن وهو من هو مؤلف هذا الكتاب ؟ .

الواقع أن هذا السؤال لا يزال بلا جواب إلى الآن . فإني قرأت الكتاب وفحصت كل جوانبه وحواشيه ، فلم أجد أية إشارة إلى اسم مؤلفه ، فأخذت أسأل كل من آنس فيه المعرفة من أصدقائي ومعارفي ، فلما أعيتني الحيلة كتبت كتاباً إلى الأستاذ

كوركيس عواد الموظف بمكتبة المتحف العراقي ببغداد ، أشرح له خبر العثور على هذه التحفة الفنية ، وأسأله إن كان يعرف شيئاً عن مؤلف هذا الكتاب ، فكتب إلي كتاباً مؤرخاً في ٢٢ — ١٠ — ١٩٤٦ يقول فيه : ... أما شرح مشكلات أبي تمام ، فقد تملكني الفرح لوقوفكم على نسخة منه . بحثت كثيراً عن هذا الكتاب ، وراجعت فهارس المخطوطات العربية لخزائن الكتب المختلفة في بلدان الشرق والغرب ! غير أنني لم أجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، فضلا عن معرفة مؤلفه ! الخ والأستاذ كوركيس عواد رجل عرف بالدقة والأمانة فيما يتناول من عمل ، فهو عندما يقول : إنه لم يجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، يقول ذلك بعد ما استفرغ الجهد في البحث والدرس — ولكن هل يكون هذا مثبطاً لعزمي ، واقطع الأمل في معرفة المؤلف ؟

وذات يوم كنا نتجاذب الحديث على شاطئ دجلة مع نفر من كرام رجال التعليم في الموصل ، فاخبرني الأستاذ الصديق السيد عبد النافع حكيم أنه قرأ — فيما قرأ — أن كتاب شرح مشكلات أبي تمام هو للمرزوقي ، ويغلب على الظن أنه قرأ هذا في مقدمة أخبار أبي تمام للصولي الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة .

ولما رجعت إلى مقدمة أخبار أبي تمام للصولي ، وجدت أن الناشرين ذكروا فيها أن للمرزوقي كتاباً باسم شرح المشكل من شعر أبي تمام ، وأن في مكتبة الجامعة المصرية صورة شمسية من هذا الكتاب مأخوذة عن أصل محفوظ في الأستانة .

وإلى هنا استطعت أن أمسك بأول الخيط في سبيل معرفة مؤلف هذا الكتاب ، ولكن لا سبيل إلى المضي في البحث أو الجزم بنسبة كتابنا الذي بين أيدينا إلى المرزوقي حتى نرى نسخة الجامعة المصرية ، ونقارن بينها وبين نسختنا لنعرف هل هما كتاب واحد أم لا ؟ فلنترك هذا الآن لنبحث عن المرزوقي هذا من هو؟

يقول ياقوت الحموي في إرشاد الأريب — ج ٥ ص ٣٤ — ٣٥ — : أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، أبو علي من أصبهان كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار . وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة ، وكان قد قرأ كتاب سيبويه على أبي علي الفارسي ، وتتلمذ له بعد أن كان رأساً بنفسه ، وله من الكتب : كتاب شرح الحماسة أجاد فيه جداً ، كتاب شرح الفضليات ، كتاب شرح الفصيح ، كتاب شرح أشعار هذيل ، كتاب الأزمنة ، كتاب شرح الوجز ، كتاب شرح النحو ؛ ثم ينقل ياقوت عن الأبيوردي أن المرزوقي كان يتفاصح في تصانيفه كابن جني ، وأنه كان معلم أولاد بني بويه بأصبهان ، ودخل عليه الصاحب بن عباد ، فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه .

ثم نقل عن ابن مندة أن المرزوقي توفي في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . هذه خلاصة وافية من ترجمة المرزوقي التي ذكرها ياقوت ، ونقل السيوطي في بغية الوعاة بعض ما ذكره ياقوت من غير أن يزيد عليه شيئاً .

وقد لاحظت أن كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام لم يذكر في كتبه التي أوردها ياقوت في إرشاد الأريب والسيوطي في بغية الوعاة .

ولما عدت إلى القاهرة في أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٧ سارعت بالذهاب إلى مكتبة الجامعة المصرية ، فوجدت الصورة الشمسية لكتاب شرح مشكل ديوان أبي تمام — وهو برقم (٤٨ — ٢٤) أدب معارة للاستاذ عبده عزام أحد مدرسي كلية الآداب في الجامعة المصرية لأن الأستاذ عبده عزام يشتغل من أمد بعيد في إخراج شرح التبريزي لديوان أبي تمام إخراجاً علمياً .

فبعثت بقطعة من نسخة الموصل لمقارنتها بالصورة الشمسية التي لدى الأستاذ عزام بواسطة الصديق الكريم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب الموظف بالقسم الثقافي بالجامعة العربية ، وظهر من المقارنة أن النسختين لكتاب واحد هو شرح مشكل ديوان أبي تمام كما ظهر أنه لا دليل على أن الكتاب للمرزوقي إلا ما كتب على ظهر نسخة الآستانة .

ولكن هل تكفي هذه الكتابة التي على ظهر نسخة الآستانة لإثبات أن الكتاب للمرزوقي ، مع أن مترجمي المرزوقي لم يذكروا في كتبه اسم هذا الكتاب ؟ ومما قوى

هذا الشك فى نسبة هذا الكتاب إلى الرزوقى أن صاحب كشف الظنون أيضاً لم يعرض لذكر هذا الكتاب مع أنه ذكر كتاباً آخر للمرزوقى لم يذكره مترجموه . وهو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته » وهو — كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٣٢١ — كتاب ألفه الرزوقى فى الرد على كتاب لأحمد ابن عبيد الله القطربلى المعروف بالفريد أظهر فيه أخطاء أبى تمام فى الأسلوب وغيره .

أليس من الممكن أن يكون كتاب « شرح مشكلات ديوان أبى تمام » الذى بين أيدينا هو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته ؟ » وهذا شك جديد يلقى ظله على اسم الكتاب الذى نحن بصدده غير أنى اطلعت أخيراً فى دار الكتب المصرية على كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام[1] » لأبى البركات المبارك بن أحمد بن المستوفى الأربلى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ فوجدت أنه يذكر فى المقدمة الكتب التى أعتمد عليها فى شرح ديوان أبى تمام إلى أن يقول : « وعلى كتابى أبى على أحمد بن محمد ابن الحسن المرزوقى ، أحدهما فى شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر فى الانتصار لأبى تمام من ظالمته » فكان هذا نصاً صريحاً من ابن المستوفى الأربلى المتوفى بعد المرزوقى بنحو مائتى سنة بأن للمرزوقى كتابين — غير الكتب التى ذكرها ياقوت والسيوطى هما : « شرح المشكل » و « الانتصار » .

ويذكر ابن المستوفى فى مقدمة كتابه أنه ينقل فى كتابه نصوص الكتب التى اعتمد عليها فراجعت إلى كتاب « النظام » وقابلت ما نقله ابن المستوفى عن المرزوقى بالنسخة الخطية التى استنسختها عن نسخة الموصل لشرح مشكل ديوان أبى تمام ، فوجدت النصوص متحدة لا تزيد حرفاً ولا تنقص حرفاً .

وبعد فإنى — الآن — أستطيع الجزم — وأنا مطمئن القلب — بأن كتاب « شرح المشكل من شعر أبى تمام » « المحفوظ فى خزانة المدرسة الفيصلية العلمية بالموصل هو لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، وأن لهذا الكتاب نسخة فى إحدى مكاتب الآستانة وصورة شمسية فى مكتبة الجامعة المصرية ، ونسخة أخرى مدرجة فى كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » لابن المستوفى الأربلى .

وأرجو أن أكون وفقت بعض التوفيق فى وصف كتاب شرح المشكل من شعر أبى تمام والتعريف بمؤلفه .

برقاوه الدين الراغستانى

(١) هذا هو اسم كتاب ابن المستوفى الأربلى الذى شرح فيه ديوانى المتنبى وأبى تمام كما ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة ابن المستوفى والحاج خليفة فى كشف الظنون فى أثناء الكلام على شروح ديوان أبى تمام . وهو كتاب ضخم نيم جمع فيه مؤلفه عدة شروح لكل من الديوانين ، وهو ينقل نصوص الكتب التى اعتمد عليها من غير تصرف ، وهو يتصيح — على ما ذكره ابن خلكان والحاج خليفة — فى عشر مجلدات كبار ، وفى دار الكتب المصرية من هذا الكتاب ثلاث نسخ ناقصة تنتهى ثلاثتها عند حرف الدال من شعر المتنبى وأبى تمام وأولى هذه النسخ تحت رقم (٥٧١) أدب الموجود منها ثلاث مجلدات مخطوط بقلم معتاد . إلا أنه سمى فى فهرس دار الكتب المصرية — ج ٣ ص ٢١٩ — شرح المشكل ، ونسب إلى الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ استناداً الى ما وجد على ظهره من أنه للخطيب التبريزى ، مع أن اسم مؤلفه المبارك ابن المستوفى الأربلى واضح صريح فى مقدمة الكتاب لو أن واضع الفهرس عنى نفسه مشقة قراءة المقدمة ! .

والنسخة الثانية والثالثة من هذا الكتاب صورتان فتوغرافيتان مأخوذتان عن أصل مكتوب بقلم فارسى يظن أنه مكتوب فى القرن الثانى عشر الهجرى ينتهى ما فيهما إلى أثناء حرف الدال فى ٣٨٦ لوحة وكل لوحة بها صفحتان ورقمهما (١٠٥٩٢، ١٦٤٠) أدب ، ومانان النسختان منسوبتان إلى ابن المستوفى المؤلف الحقيق ، ولكن اسمهما لا يزال مطموساً إذ بقى مثل اسم النسخة الأولى : شرح المشكل ! ..

مطبعة الرسالة

تقدم إلى عشاق الأدب

وحى الرســـالة

فى مجلدين

يطلب من دار الرســـالة

ومن المكتبات الشهيرة ثمن كل مجلد ٤٠ قرشاً عدا البريد